

## قبل الفسطاط .. كان الفتح

جاء أول تفكير فى فتح مصر بعد إتمام فتح الشام ، حينما اجتمع الخليفة عمر بن الخطاب بقواده سنة ١٨ هـ فى بلدة الجابية بالجولان بالقرب من دمشق . فى هذا المؤتمر العسكرى تقرر فتح مصر بقيادة عمرو بن العاص<sup>(١)</sup> الذى سبق له فى الجاهلية أن زارها وخبر مسالكها . وهو معدود من دهاة العرب لشدة ذكائه وحسن بلائه وسعة حيلته .

خرج عمرو بن العاص من مدينة قيسارية بفلسطين على رأس قوة من أربعة آلاف مقاتل فى أواخر سنة ١٨ هـ / ٦٣٩ م واجتاز رفح والعريش عند الحدود المصرية دون مقاومة لخلوها من الحصون . ثم سلك الطريق الساحلى وهو الطريق الذى سلكه من قبل كبار الفاتحين والتجار منذ أقدم العصور .

---

(١) هو عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سهم القرشى السهمى . أسلم سنة ثمان هو ونخالد بن الوليد عثمان بن طلحة وقدموا المدينة مسلمين ، ولاس عمر بن الخطاب قيادة جيش فلسطين بعد وفاة يزيد بن أبى سفيان ، ثم سيره لفتح مصر فافتتحها وأقره عثمان ثم عزله عنها . وولى عبد الله بن سعد بن أبى سرح العامرى ، ولما قتل عثمان سار عمرو إلى معاوية بن أبى سفيان وشهد معه صفين وكان حكما له . ولا معاوية على مصر ، وتوفى بها سنة ٤٣ هـ / ٦٦٤ م ، وله من العمر ٩٣ عاما .

بلغ عمرو مدينة الفرما Pelusium<sup>(١)</sup> ، وهى مدينة قديمة حصينة عند رأس الطريق الصحراوى المؤدى إلى داخل مصر ، ولذا كانت تسمى بمفتاح مصر . وبعد حصار استمر شهراً كاملاً إستولى عليها عنوة فى أوائل سنة ١٩ هـ ثم دمرها تماماً لكى لا يستفيد العدو من موقعها الإستراتيجى فيقطع عليه خط الرجعة . واصل عمرو السير جنوباً متجنباً الأراضى الزراعية والموانع المائية فى الدلتا ، ومستفيداً من الأراضى الصحراوية التى يحسن العرب القتال فيها إلى أن بلغ مدينة بلبيس فاستولى عليها بعد الوقوف أمام حصونها شهراً آخر .

اتجه عمرو بعد ذلك نحو النيل واستولى على قرية أم دنين<sup>(٢)</sup> وهى مرفأ نيلى شمال حصن بابليون ، وتكبد عمرو فى هذه العملية خسائر فادحة نتيجة للهجمات التى كان يشنها الجيش البيزنطى المتمركز فى حصن بابليون على جيش عمرو .

اشتبك جيش عمرو مع البيزنطيين فى موقعة هليوبوليس أو عين شمس ، وانتصر جيش عمرو على الجيش البيزنطى بقيادة تيودور . ويرجع الفضل فى نصر عين شمس إلى الخطة التى اتبعتها عمرو فى هذه المعركة ، إذ أنه أرسل فى جناح الظلام كميناً من جنده استقر غرباً فى أم دنين ، كما أرسل كميناً آخر اختبأ فى تلال المقطم شرقاً . ثم لجأ عمرو

---

( ١ ) تقع الفرما مشرق مدينة بورسعيد ، وقد أجرى المجلس الأعلى للآثار حفائر أثرية بها كشفت عن قلعتها وآثار هامة أخرى بها .

( ٢ ) تقع أم دنين فى الموقع المحصورين ميدان رمسيس وحديقة الأزبكية بالقاهرة .

إلى الدهاء لكى يخرج الرومان من حصنهم ، فتظاهر بالهزيمة والتقهقر فانخدع الرومان وتبعوه ، وإذا بكمين المقطم ينقض عليهم ويحول بينهم وبين الرجوع إلى الحصن ، فارتدوا غربا نحو أم دين ، وإذا بالكمين الثانى ينقض عليهم وتدور الدائرة عليهم وتعتورهم السيوف من كل جانب فلم ينج منهم إلا القليل .

شدد عمرو بعد ذلك الحصار على حصن بابليون لأهمية موقعه الاستراتيجى ، فهو يقع على رأس الطريق المؤدى إلى العاصمة الإسكندرية ، كما أنه يحتل مكانا وسطا بين الصعيد والدلتا ، مما أعطاه قيمة عسكرية تستوجب إحتلاله .

بعد حصار دام سبعة أشهر ، وأمام شدة تصميم المسلمين على القتال ، اضطر قيرس إلى عقد مشروع معاهدة تنهى الحرب بين الفريقين حقتا للدماء ، وهى معاهدة مصر أو معاهدة حصن بابليون الأولى (١) ثم رحل المقوقس إلى القسطنطينية لعرض المشروع على الإمبراطور هرقل الذى غضب لهذه المعاهدة التى تقضى بتسليم مصر للعرب رغم وجود جيش بيزنطى كبير فيها ، واتهم قيرس بالخيانة والجبن وأمر بنفيه ، ولما علم المسلمون برفض هرقل لشروط الصلح ، شددوا الحصار على الحصن . ثم توفى هرقل بعد ذلك بقليل ، فكان لنبا وفاته وقع سىء على الجنود البيزنطيين المحصورين إذ قضى على كل أمل فى وصول إمدادات

---

(١) أورد نص هذه المعاهدة القلقشندى فى كتابه صبيح الأعشى فى صناعة الإنشا ، ح ١٣ ، ص ٣٢٤ .

## الفسطاط .. النشأة

أدت التطورات التي صاحبت حركة الفتوحات الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، إلى تأسيس عدد من المدن أو القواعد العسكرية ، التي تحولت فيما بعد إلى مدن ، وكان لتأسيس هذه القواعد أثره في تطور عمارة المدن الإسلامية ، أول هذه المدن هي البصرة التي أسسها عتبة بن غزوان سنة ١٢ هـ / ٦٣٣ م ، والكوفة التي أسسها سعد بن أبي وقاص سنة ١٧ هـ // ٦٣٨ م . وتلتها الفسطاط سنة ٢١ - / ٦٤٢ م .

### \*\* موقع الفسطاط -

يقول المقرئ عن موقع الفسطاط « اعلم أن موقع الفسطاط الذي يقال له اليوم مدينة مصر كان فضاء ومزارع فيما بين النيل والجبل الشرقى الذي يعرف بجبل المقطم ، ليس فيه من البناء والعمارة سوى حصن يعرف بعضه اليوم بقصر الشمع وبالمعلقة ينزل به شحنة الروم المتولى على مصر من قبل القياصرة ملوك الروم عند مسيرة من مدينة الإسكندرية

ويقيم فيها ما يشاء ثم يعود الى دار الامارة (١) هكذا تحدث المقرئى عن موقع مدينتنا الفسطاط ، فعندما فتح المسلمون مصر ، كانت الإسكندرية عاصمة البلاد ، ففكر عمرو بن العاص فى أن يتخذها قاعدة للإدارة والجيش ، ألا أن عمر بن الخطاب لم يوافق على ذلك ، وأمره بإنشاء مدينة جديدة لا يفصله عن المسلمين فيها ماء فى شتاء ولا فى صيف . فاختار عمرو موقع المدينة - التى عرفناها فيما بعد بالفسطاط (٢) .

وأغلب الظن أن عمرو قد فطن إلى أهمية ومميزات هذا الموقع والتى يمكن اجمالها فى الآتى :-

- إن فى اختياره ارضاء للمصريين الذين بغضوه فى الإسكندرية باعتبارها رمزا للظلم الرومان واضطهادهم لهم (٣) .

- كذلك من الأفضل لعمرو وجماعته اقامتهم عند حصن بابليون ، الذى سموه بقصر الشمع فيما بعد ، فى قلب مصر حيث العناصر الوطنية المسالمة التى كانت تنظر للمسلمين كمنقذين لهم من ظلم الرومان (٤) .

---

(١) المقرئى ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، ج ١ ، ص ٢٨٦ .

(٢) د . عبد الرحمن زكى ، الفسطاط وضاحتها العسكر والقطائع ، ص ٥ المكتبة الثقافية ١٥٨ ، ١٩٦٦ م .

(٣) د . حسن الباشا ، دراسات فى الحضارة الإسلامية ، ص ١٩٣ ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٧٥ م .

(٤) د . حسن الباشا ، مدخل إلى الآثار الإسلامية ، ص ٥٦ .